المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

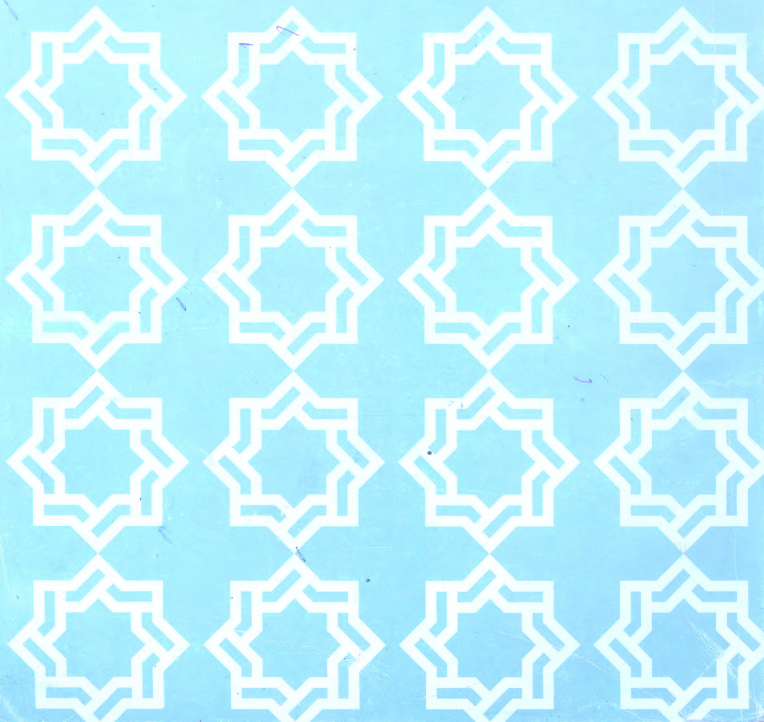

رائعة عربية : الحاوي للرازي

فرات فائق خطاب

كتاب الحاوي ويسمى « الجامع الحاصر لصناعة الطب » أو « الجامع الكبير » : أحد روائع التراث الطبي العربي ، وهو أضخم مؤلفات ابي بكر الرازي[١] الطبيب المتوفى عام ٣١٣هـ/٩٢٥م وهو عبارة عن دائرة معارف طبية ضخمة جداً ، ويعتبر « ألمع كتاب عربي في الطب[٢] » . انه أكبر حجماً من (قانون) ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦م) وهو - كما يقول صاحب كشف الظنون - يقع في ثلاثين مجلداً[٣] .. جمع فيه مؤلفه « كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله »[٤] وأضاف اليه مشاهداته وتجاربه الشخصية مشيراً الى ذلك بكلمة (لي) .. والرازي نفسه يقول انه مكث في تأليف هذا السفر الضخم خمسة عشر عاما مواصلا العمل بالليل والنهار[٥] . ويبدو أنه مات قبل أن يتمه ، فبقيت مسوداته - بعد وفاته - عند أخته ، فأظهرها ابن العميد - وزير ركن الدولة الديلمي - بعد أن بذل لها دنانير كثيرة ، ورتبها مستعيناً بتلامذة الرازي من الاطباء الذين كانوا بالري لذلك خرج الكتاب مشوشا مضطربا في اثني عشر قسما - وفق احصاء ابن النديم[٦] - هي :

(١) في علاج المرضى والامراض . (٢) في حفظ الصحة . (٣) في (الوثي)[٧] والجبر والجراحات . (٤) فيقوى الادوية والاغذية وجميع ما يحتاج اليه من المواد في الطب . (٥) في الادوية المركبة . (٦) في صنعة الطب . (٧) في صيدنة الطب - فيه صفة الادوية وألوانها وطعومها وروائحها . (٨) في الابدان (في عيون الانباء - في الابدال) يذكر فيه ما ينوب عن كل دواء أو غذاء اذا لم يوجد) . (٩) في الاوزان والمكاييل . (١٠) في التشريح ومنافع الاعضاء . (١١) في الاسباب الطبيعية من صناعة الطب . (١٢) في المدخل الى صناعة الطب ، وهو مقالتان :

في الاولى : الاسماء الطبية . وفي الثانية : أوائل الطب . (انتهى) .

---

(١) راجع ترجمته في مجلة (الاقلام) السنة الثانية - العدد الاول (بغداد ١٩٦٥) الدكتور فيصل دبدوب - جالينوس العرب : محمد بن زكريا الرازي ص ٧١ - ٧٥ .

(٢) الطب العربي - براون ص ١٠٨ .

(٣) كشف الظنون ج ٣ ص ١٠٧ س ٣ .

(٤) ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ٣١٥ .

(٥) رسائل فلسفية : ج ١ ص ١١٠ .

(٦) الفهرست ص ٣٠٠ .

(٧) في الفهرست (الرثبة) .

ولضخامة هذا الكتاب وارتفاع ثمنه وصعوبة نسخه فقد أصبح نادراً لا يوجد الا عند ذوي العلم من أهل اليسر والثراء ، ونجد أن الطبيب علي بن العباس المجوسي ـ المتوفى عام ٩٩٤م (صاحب كتاب كامل الصناعة في الطب الذي جاء بعد الرازي بمدة ٥٠ أو ٦٠ عاما) يشكو من قلة وجوده وصعوبة الحصول عليه ويقول انه لا يعلم غير وجود نسختين منه فقط[٨] في زمانه . وقد اختصر هذا الكتاب غير واحد ، للتقليل من حجمه وجعله أكثر ملاءمة للقراءة والتداول بين الطلبة ، ومن الذين اختصروه : علي بن داود نحو سنة ٥٣٠هـ ، وابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠هـ ، ثم ان رشيد ابا سعيد بن يعقوب المسيحي القدسي المتوفى سنة ٦٤٦هـ علق عليه تعاليق واختصره الدخوار[٩] ، .. وقد وصلت الينا أجزاء من هذا الكتاب الضخم متفرقة في مكتبات العالم ، ويرى الدكتور (براون) انه لو جُمعت هذه الاجزاء المتفرقة وصُحِّحَت لما كوّنت نصف هذا العمل الكبير[١٠] .. وتوجد من هذا الكتاب نسخ مخطوطة في خزائن : الموصل : ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ١٤٣ والمدرسة الاحمدية بالموصل : ٥٤٠١ وفيها ايضاً مجلد قديم مستل من الحاوي عنوانه (علاجات الحاوي الكبير) ، وكذلك في السليمانية باستانبول : ٨٥٠ ودار الكتب المصرية : ١٧١٨ و١٥١٩ (طب) والظاهرية : ٦٧٧١ ، واحمد الثالث : ٢١٢٥ ، وجارالله : ٢١٦٠ (١) وشهيد علي : ٢٨٠١ (٢) والمشهد الرضوي : ١٦ ، ١٣ (٤)

(٨) الطب العربي ـ براون ص ٥٢ .

(٩) كشف الظنون ج٣ ص ١٢ س ٥ ، ٦ والدخوار هو مهذب الدين عبدالرحيم بن علي وفي رواية أخرى عبدالمنعم بن علي منشىء المدرسة الدخوارية سنة ١٢٤٤ م .

(١٠) الطب العربي ـ براون ص ٥٢ و ٥٧ .

وسليم أغا : ٨٦٢ وسراي باستانبول : ٢١٢٥ ورامپور : قسم (١) : ٤٧٤ وميونيخ : ٨٠٦ والمتحف البريطاني : ٤٤٦ و٩٧٩٠ (شرقي) وبودليان : قسم (١) : ٥٦٥ ، ٦٠٧ . قسم (٢) : ١٧٩ وأهمها (مارش)[١١] ١٥٦ واسكوريال : ٨٠٢ الى ٨١٤ و٨٤٩ الى ٨٥١ وبتروغراد : ٢٢ وبطرسبورج : ١٢ (١) وپرنستون : ١٧٩ (A) و مدريد : ٥٥٥ (١) . ومنه منتخب في ليدن رقم ١٣٧٨ .

وقد ترجم كتاب « الحاوي » من اللغة العربية الى اللاتينية وأول من قام بترجمته هو الطبيب اليهودي (فرج بن سالم) المشهور في الغرب باسم (فراغوت ـ Farragut) برعاية شارل الاول ملك نابولي وصقلية الذي حكم من سنة ١٢٦٦ الى ١٢٨٥م ، ففرغ من ترجمته عام ١٢٧٩م في صقلية ، معنوناً أياه بـ (Continens) بدلا من لفظة « الحاوي » وتوجد من هذه الترجمة مخطوطة نفيسة في المكتبة الاهلية بباريس كتبت سنة ١٢٨٢م . ثم انه ترجم عدة تراجم وطبع في بريسكا Brescia عام ١٤٨٦ تحت عنوان Liber Dictus Elhavi

(١١) هذه النسخة تقابل المجلد السابع عشر من الترجمة اللاتينية الذى عنوانه :
De effimera et ethica (Hectica?)
وتأتي اهمية هذه النسخة لاحتوائها على مجموعة من الوقعات السريرية لابي بكر الرازى تحت عنوان « أمثلة من قصص المرضى وحكايات لنا نوادر » . هذه الوقعات تشغل وجه ٢٣٧ وظهر ٢٣٩ ـ ظهر ٢٤٥ من النسخة المذكورة، وهي تقابل الصفحات ١٨٩ـ٢٠٣ و٢٠٦ـ٢٠٨؟ من الجزء السادس عشر من كتاب « الحاوي » المطبوع فى حيدرآباد ، وعدد هذه الملاحظات ٣٣ ملاحظة . وقد نشر المستشرق ماكس مايرهوف فى مجلة ايزيس ج ٢٣ سنة ١٩٣٥ ص ٣٢١ـ ٣٧٢ ثلاثا وثلاثين ملاحظة اكلينيكية للرازي بنصها الاصلي مع ترجمة انكليزية وشرح . راجع : كامبيل : ج١ ص٦٩ . براون : ص٥٣، ٥٤ . والدوميلي ص ١٧٥ .

وفي البندقية Venice عام ١٥٠٠ (وهذه الطبعة تقع في ٢٥ مجلداً) وكذلك عام ١٥٠٦ ، ١٥٠٩ ، ١٥٤٢ بأسم : Continens Rasis وتوجد من هذه الطبعة الاخيرة نسخة نادرة في كمبردج في مكتبة كنگس كولدج • وكان كتاب الحاوي من الكتب المعتمدة في دراسة الطب حيث ظل يدرّس مع (قانون) ابن سينا وغيره من الكتب الطبية العربية في جامعات اوربا حتى مطلع القرن السابع عشر ، وهو أحد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة كلية طب باريس عام ١٣٩٥ ، ومما يروى أن لويس الحادي عشر حين أراد أن يستنسخه ـ اضطر الى دفع مبلغ باهض من الذهب والفضة لاحتياز هذا الكنز الثمين ••• وقد طبع أخيراً في حيدر آباد الدكن بالهند ـ بمطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ برعاية محمد عبدالمعيد خان ، فصدر منه حتى الآن عشرون جزءاً هي :

الجزء الاول : في أمراض الرأس (سنة ١٩٥٥) ٢٩٠ ص •

الجزء الثاني : في أمراض العين (سنة ١٩٥٥) ٢٦٩ ص •

الجزء الثالث : في أمراض الاذن والانف والاسنان والحلق (سنة ١٩٥٥) ٢٩٩ ص •

الجزء الرابع : في أمراض الرئة (الربو وضيق النَفَس ورداءته ••) سنة ١٩٥٦ (٢٢٥ص)•

الجزء الخامس : في علل المعدة والمرىء وما يتعلق بذلك (سنة ١٩٥٧) ٢٤٩ ص •

الجزء السادس : في الاستفراغات والتسمين والهزال (سنة ١٩٥٨)٢٨٩ ص •

الجزء السابع : في أمراض الثدي والقلب والكبد والطحال (سنة ١٩٥٨) ٣٢١ ص •

الجزء الثامن : في قروح الامعاء والزحير •• والمغص والورم•• وغيرها (سنة ١٩٥٩) ٢٢٠ ص•

الجزء التاسع : في أمراض الرحم والحمل (سنة ١٩٦٠) ١٩٧ ص •

الجزء العاشر : في أمراض الكلى ومجاري البول وغيرها (سنة ١٩٦١) ٣٤١ ص •

الجزء الحادي عشر : في أمراض الحيات والديدان في البطن والبواسير والحدب والنقرس والدوالي وداء الفيل وغيرها (سنة ١٩٦٢) ٣١٧ ص •

الجزء الثاني عشر : في أمراض السرطان والاورام والدماميل ••• وغيرها (سنة ١٩٦٢) ٢٤٩ ص •

الجزء الثالث عشر : في أمراض الرض والفسخ •• والقروح في أعضاء التناسل والمقعدة وغيرها (سنة ١٩٦٢) ٢٥٢ ص •

الجزء الرابع عشر : في أمراض الحميات والبراز والقيء وغيرها (سنة ١٩٦٣) ٢٥١ ص •

الجزء الخامس عشر : في الحمى المطبقة والامراض الحادة •• وغيرها (سنة ١٩٦٣) ٢٢٥ ص •

الجزء السادس عشر : فيحميات الدق والذبول والنافض •• وفي الحميات الوبئية وغيرها (سنة ١٩٦٣) ٣٢٠ ص •

الجزء السابع عشر : في الجدري والحصبة والطواعين (سنة ١٩٦٤) ٢٥٦ ص •

الجزء الثامن عشر : في البحران وما يتعلق به (سنة ١٩٦٦) ٢٢٧ ص •

الجزء التاسع عشر : في البول وما يتعلق به والنهش والسموم (سنة ١٩٦٦) ٤٤٨ ص •

الجزء العشرون : في الادوية المفردة (سنة ١٩٦٧) ٦١٧ ص •

يتبعه الجزء الواحد والعشرون : في الادوية المفردة وكذلك الذي لم يصدر حتى الآن • ان دراسة الحاوي مهمة جداً ففيه نجد لاول مرة في تاريخ الطب العربي فكرة تدوين الملاحظات السريرية •• وتتأكد أهمية هذا الكتاب باعتباره :

١ ـ سجلا وافياً للتراث الطبي الذي ورثه العرب من اليونانيين والرومانيين والسريانيين والهنود والفرس واستقوا منه •

٢ ـ وثيقة هامة للاضافات والمعلومات والمآثر الطبية التي ساهم الاطباء العرب باضافتها حتى زمن الرازي •

٣ ـ مصدراً هاماً لكتب عربية أو يونانية أو غيرها •

وأخيراً فان دراسة الحاوي على نحو أكثر تعمقاً سوف تسمح بايجاد تاريخ العلاج العملي في المستشفيات عند العرب الذي لاتزال معرفة المؤرخين به ناقصة[١٢] ، • على أن مثل هذه الدراسة مفعمة بالصعوبات والمشاكل وذلك لضخامة الكتاب وعدم تنظيمه وترتيبه لان يد الرازي لم تهذبه ولم تنقحه فجاء الكتاب مشوشاً مضطرباً بل جاءت بعض النصوص مكررة في غير موضع منه ، هذا بالاضافة الى ، عدم وجود مخطوط كامل له[١٣] •• ، وفي سبيل اخراج طبعة متكاملة ، غير ناقصة ـ قدر الامكان ـ وتسهيلا لدراسة هذا الاثر المهم ••• يجب مقارنة وتصحيح المخطوطات الموجودة في جميع مكتبات العالم ـ عامة وخاصة ـ مع بعضها ومعارضتها بالترجمة اللاتينية له ، ثم عمل فهارس تفصيلية وافية للمواضيع والامراض والادوية والاسماء •• الخ التي وردت فيه كي تساعد الباحث المنقب في دراسته لهذا الكتاب •

---

(١٢) الدوميبلي : ص ١٧٤ ، ١٧٥ •
(١٣) براون : ص ٥٢ •

المصادر والمراجع

١ ـ ابن ابي اصيبعة ـ عيون الانباء فى طبقات الاطباء (المطبعةالوهبية ـ القاهرة ـ ١٨٨٢م): الجزء الاول •

٢ ـ ابن النديم ـ الفهرست (مكتبة خياط ـ بيروت ، لبنان) ١٩٦٤م •

٣ ـ ادوارد جي • براون ـ الطب العربي ، ترجمة الدكتور داود سلمان علي (مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٤م) •

٤ ـ الدوميبلي : العلم عند العرب ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار واندكتور محمد يوسف موسى (دار القلم ـ القاهرة ١٩٦٢) •

٥ ـ د • امين أسعد خيرالله : الطب العربي ، ترجمة مصطفى أبو عزالدين (المطبعة الاميركانية ـ بيروت ١٩٤٦) •

٦ ـ پ • كراوس ـ رسائل فلسفية لابي بكر محمد ابن زكريا الرازي (بول پاريه ـ القاهرة ١٩٣٩) •

٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة الرازي ـ الجزء التاسع •

٨ ـ د• داود الچلبي الموصلي ـ محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكمياوي الفيلسوف (مطبعة محفوظ ـ الموصل ـ دون تاريخ) •

٩ ـ د• دونالد كامبيل : الطب العربي وتاثيره في العصور الوسطى (لندن ـ ١٩٢٦ ـ باللغة الانكليزية) •

١٠ـ حاجي خليفة ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (ليبزك ـ ١٨٣٥) الجزء الثالث •

١١ـ الرازي ابو بكر محمد بن زكريا ـ الحاوي الكبير (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد الدكن ، الهند ١٩٥٥/١٩٦٧) •

١٢ـ عبدالحميد العلوجي ـ تاريخ الطب العراقي (مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٦٧) •

١٣ـ فيليب حتي ، د• ادوارد جرجي ، د• جبرائيل جبور ـ تاريخ العرب ـ مطول ـ (مطابع دار الكشاف ـ ١٩٥٣) الجزء الثاني •